إيثار تعلم العلم وفضائل تعليمه في الإسلام

د. سليمان حندي صالح
كلية التمريض/جامعة سبها

مقدّمة: Introduction

يتناول هذا الموضوع البعد الأخلاقي لإيثار طلب العلم ومكارم تعليمه للغير؛ حسب ما أقرَّه الدِّين الإسلامي بالانتفاع الصَّحيح به والعمل بمقتضاه، وبما يُفيد ويَنفع به المرء كلَّ النَّاس، وطلب العلم في الإسلام لا يقتصر على العلوم الدِّينيَّة، بل يشتمل على علوم الكون كلّه، ذلك أنّ الإسلام جاء شاملاً لضروب النَّشاط الإنساني كافَّة، لأنَّ العلم في الإسلام لا حدود له طالما فيه نفع وصلاح، وانحصرت جملة استنتاجات نتائج البحث في أنَّ المعنى العام للإيثار هو: حبّ المرء لأخيه الإنسان الخيّر في كل أُمور الحياة، يسعى ويسهر ويجد ويجتهد ليهنأ باله ويرتاح إخوانه، ويسعد أحبابه دون تخصيص، بحيث لا يقطع عليه طريقاً لبلوغ الخير إلى نفسه، وفي ذلك صلاح له ولجميع النَّاس ومرضاة لله، لأنَّ المؤثر والمتفضّل والمعطي في الحقيقة هو الله، سواء من المال والجاه والسلطان والعمر والعلم والعمل، وما المخلوق إلَّا أمين عليها، فأحق بها مُوهِبها له، وثواب مكارم الإيثار تبنى على النيَّة الصَّادقة وخواتيم الأعمال الحسنة.

وقد بيَّنت أغلب الاتجاهات أو المذاهب الفلسفيّة أنّ مذهب المنفعة أو السَّعادة، يتلَّخص بوجه العموم في اتجاهين رئيسيين: إطاره الأول المنفعة أو السَّعادة الشَّخصيّة أو الفرديّة، والاتجاه الثَّاني: المنفعة أو السَّعادة العامّة لكل النّاس؛ ويحتل العلم أعلى المراتب من درجات سُلَّم الحياة الإنسانيَّة في الدُّنيا، فهو أجلّ وأشرف النِّعم، به تحفظ كلمة الله العليا، وصلاح الأنفس والأوطان، وعمارة الكون على مرّ الزَّمان، وهو ميراث الرُّسل والأنبياء عليهم أفضل صلوات الله وأزكى السّلام، فهم ورَّثوا العلم ولم يورِّثوا دِرهماً ولا دِيناراً، ولا دُوراً ولا بُوراً ولا قُصوراً؛ لأنَّ ذلك ممَّا يزول ويفنى، ويبقى العلم مُلْكٌ لا يضاهيه مُلك في النَّماء

والعطاء، ثماره يانعة في العاجل والآجل، وبالعمل قطوفه في كل حين دانية؛ فهو المرشد لسبيل السَّعادة في الدّنيا والآخرة، وما إيثار حبّ طلب العلم، وتعلمه وتعلّيمه إلاَّ دليل على رجاحة عقل المرء وحسن إسلامه، وصدق نيَّته وكمال إيمانه، ومن بين أبرز أسباب اختيار موضوع البحث: أنَّ بعض المقرَّرات بالبرنامج الدِّراسي في كثيرٍ من الأحيان تفتقر إلى التَّحديد الشَّامل الذي يغطِّي جميع الجوانب الرئيسة؛ للتَّوصيف العام للمعايير البرامجيَّة، وعلى وجه الدَّقة المنهاج الدراسي للتخصُّصات التربويّة من أجل تعليم وتأهيل الطلّاب بمختلف المراحل التَّعليميّة، ومن أهمها على الوجه الأخص المرحلة الجامعيّة؛ إذ ينبغي أنْ توجَّه العناية اللّازمة لدراسة الأخلاقيّات التّربويّة والمهنيّة بالمقرّرات الدِّراسيّة، والأولى أنْ تتم دراستها بشكل مستقل عن أيِّ مقرّر دراسي آخر؛ لما لها من أهميّة وضرورة في الإعداد التَّربوي والمهني على أسس وضوابط أوامر ونواهي الدِّين الحنيف، بما فيه من مكارم الأخلاق والقيم الإنسانيّة النبيلة في بناء الشَّخصيّة والمعاملات المهنيّة، ومن أبرزها تحديداً في إطار هذا البحث معالي مكارم الإيثار التي ينبغي أنْ يتحلَّى بها الطَّالب؛ لنيل الدّرجة العلميَّة الجامعيَّة التَّخصصيَّة في الإطار التّربوي، ليعمل بها في حياته الشّخصيّة، ومقتضيات الممارسة المهنيّة، وتعامله مع الزُملاء والوسط المهني وغيره، ومن هذا الأساس ارتكزت تساؤلات البحث في التالي: لماذا يميل بعض النّاس لحب الإيثار؟ وآخرين يتَّصفون بالاستئثار، وعلى وجه الدّقة والتَّحديد، ما مقياس أو معيار العمل؟ والنَّفع أو السَّعادة أو اللّذة التي ينبغي أنْ يسعى ليتحصل عليها الإنسان من مكارم خلق الإيثار من باب طلب العلم وتعليمه؟. ومن جانب آخر هل خُلق إيثار طلب العلم وحبّ تعليمه طَبْعٌ جُبلت عليه النَّفس، أم أنَّه سلوك يَتَخلّق به الإنسان بالكَّسب والتَّطبيع والمران، وبمعنى آخر: لماذا يتّصف بعض النّاس بِخُلق إيثار نفع الغير بما تعلم؟ في حين أنّ بعضهم الآخر يغلب على طبعه خلق استئثار حبّ العلم دون تعليمه، أو نفع الغير به بأيّ صورة كانت. ومن ذلك يحاول الباحث أنْ يستنتج كيف وضع الإسلام معياراً لِلبَنَاتِ؟ ثواب مكارم الإيثار في طلب العلم وتعليمه، وهذا هو الأساس الأول المباشر لإشكاليّة البحث.

وتأتي أهمية البحث في أنَّه يسعى إلى التَّوجه نحو إحداث تطوير برامجي بالمؤسسة التّعليميَّة التّخصصيَّة عند الإعداد التّربوي والمهني الطلابي؛ لِخَلْق بيئة متميّزة للطلّاب وأعضاء هيئة التّدريس والعاملين بها على حدٍ سواء، ممَّا يعين على تحقيق رؤية ورسالة وأهداف هذه المؤسسات التَّخصصية، إضافة لذلك لِتوضيح الأسس والمبادئ التي ترتكز عليها أخلاقيات مكارم إيثار طلب تعلم العلم، وفضائل حبّ تعليمه وفق تعاليم ومنهاج الدِّين الإسلامي القويم، وتتجلَّى أهداف البحث في التالي:

1-إرشاد المتعلِّمين بعامَّة والطلاب بخاصّة إلى تهذيب النّفوس بالأخلاق والآداب الفاضلة بإيثار فعل الجميل، وترك القبيح من الأخلاق المذمومة، وهي غاية نفيسة من حيث التَّعلُّم لبلوغ القرب من الله جلَّ جلاله، ومن ثمَّ النَّظر لوجهه الكريم كأسمى ومنتهى الغايات بالسَّعادة الأخرويَّة التي لا تضاهيها منزلة قرب وسعادة أبديَّة.

2-بيان أنَّ حق الأستاذ على الطَّالب يأتي بعد حقّ الأمومة والأبوة على الأبناء؛ لأنّ بتعليمه لهم وأداء رسالته على الوجه التَّام والصَّحيح فيه صلاح ما يصونون به دينهم، ويسوسون به دنياهم ونفوسهم، ومن ثمَّ فيستحقُّون برَّهم بمنزلة الوالدين.

3-وجوب العمل بما أمر الله به عباده، وترك ما نهى عنه، يقتضي العلم والعلم اليقيني يستلزم الاعتقاد الصَّحيح، وغاية العلم معرفة الطَّريق الموصِّل للحقائق، وبيان المسلك الباطل لاجتنابه، فمن لا يعرف أو لا يفرِّق بين الحقّ والباطل، لا محالة قد يقع في الشّر لفساد الاعتقاد؛ ومن ثمَّ لا يكون المرءُ عالماً حتى يكون بعلمه الصَّحيح عاملاً.

4-يتطلَّع الباحث إلى الإسهام في كيفية رفع مستوى الإعداد المهني للطلَّاب بالمؤسسات التّعليميَّة، بأسلوب تذكية نفوسهم وتنمية شعورهم نحو حبّ إيثار طلب العلم وتعليمه، لما له من أهمِّية بالغة في حياتهم السُّلوكيَّة العامَّة، والتَّخصصيَّة المهنيَّة المستقبليَّة، وللرّفع من كفاءة الإعداد المهني لأعضاء هيئة التَّدريس الأخلاقيَّة إلى جانب إضفاء بعض المعارف المهنيَّة التَّخصُصيَّة للطلَّاب.

5-زيادة الرَّفع من مستوى الوعي المجتمعي لينعكس على سلوكهم العملي بفعل كل جميل، وثنائهم على فعل كل مليح، واستهجان واجتناب كل قبيح، ومقابلة الإحسان بالإحسان.

واعتمد الباحث في هذا الموضوع على المنهج التَّاريخي بالدّرجة الأولى، وهو أحد مناهج البحث العلمي الَّذي يصف الأحداث الماضية؛ بغية دراستها وتحليلها، استناداً إلى أسسٍ منهجيّة وعلميّة دقيقة؛ لتحديد الفكرة العامّة عن الموضوع، وفهم الوقائع التاريخية المتعلقة بموضوع البحث النظري، أو الدراسة التطبيقية؛ من أجل استنباط أثرها على الحاضر، ومن ثمّ يمكنه وضع تصوّرات لما ينبغي أنْ يكون عليه الواقع المعاش واستشراف المستقبل، أو التَنبؤ بالمعضلات المستقبليّة التي قد تحدث، ووضع سبل لمواجهتها ليصل في النّهاية إلي صياغة أهم النّتائج والمقترحات والتّوصيات والملاحظات، إضافة إلى ذلك استخدم المنهج الوصفي الذي يعتمد على استقاء المعلومات اللّازمة عن موضوع البحث خلال فترة زمنيّة محدّدة؛ بغية الحصول على نتائج تتّسم بالشموليّة والموضوعيّة والدّقة، وهو من بين المناهج الضَّروريّة في ميدان العلوم الإنسانيّة بوجه خاص من أجل الوّصف الواقعي والتفسير الموضوعي.

أولاً- مصطلحات البحث:

Research terms

1- الإيثار: يطلق على أيّ فعل أخلاقي يقوم به المرء بهدف أنْ تَعمّ الفائدة والنّفع على الغير، دون أنْ يَرْتجي الإنسان من وراء ذلك الفعل مقابل أو مزيّة لمصلحته الشّخصيّة، والإيثار بمعنى التَّقديم والتّفضيل، فهو عكس الأَثرة: وهي حبَّ الذَّات أو الأنانيّة، وهي مدعاة لفساد الذِّمم ومعطِّلة لمصالح الإنسان، والهادمة لعمران الأوطان.

2- الفضيلة: فضيلة[1]: تعني الزِّيادة، أي وفرة في النَّفس، أساسها استعداد فطري أو ملكة أو حال مكتسبة بالمران، أو هي تمام تأدية القوّة النَّفسية لوظيفتها، وهي كل فعل يقصد به نحو غاية ما، تفضي لعمل جليل القدر عظيم الشأن، فالفضيلة: المرتبة العالية أو المزيَّة الزائدة على سائر الدّرجات ومنها ثواب أو مقام الجنَّة في الآخرة، وقد جاء في الحديث النّبوي الشريف عن جابر بن عبد الله ﵁ أنَّ رسول الله ﷺ قال: "من قال حين يسمع

النداء الَّلهم ربّ هذه الدَّعوة التَّامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته حلَّت له شفاعتي يوم القيامة"[2]، والمراد بذلك بلوغ المرتبة الزائدة على سائر الخلائق، وهي هنا المزيَّة التي سينالها النّبيّ ﷺ بحسن الأخلاق، وثواب العمل الصالح بأعلى منزلة في الجنَّة.

3ــ الأخلاق:

الأخلاق في الُّلغة جمعٌ لمفرد لفظ الخُلق[3]، وهي الطَّبع والسَّجيّة لصدور الأفعال الحسنة والقبيحة عن صاحبها، وبمعنى أنَّها الدّين والمروءة، وتعني مجموع الأعمال والصفات النفسيّة للإنسان التي توصف بالحسنة أو القبيحة، كما يُعرف الخُلق لغة: "الخاء واللام والقاف أصلان: أحدهما تقدير الشيء، والآخر ملامسة الشيء"[4].

وتعرَّف اصطلاحاً بميل الإرادة الإنسانيّة للفعل المحمود أو المذموم، أي أنِّها هيئة راسخة في النَّفس، يصدر عنها الأفعال بشكل سهل ومُيسّر، دون الحاجة للتَّروي أو التَّفكير، ومن ثمَّ يمكن أنْ يصدُر عن هذه الهيئة الأفعال المحمودة أو المذمومة.

4ــ المنهاج: من أصل الفعل(نَهَجَ). والنَّهْج لغة[5]، بسكون الهاء، سَلَكَ الطَّريق الواضح، وأنهج الطّريق: وَضَّحَ واستبان، وصار نهجًا واضحًا بيّنًا، وأنهج الطريق[6]، ويقال: نهج فلان الأمر نهجًا؛ أي: أبانه وأوضحه، ونَهَجَ الطريق: سلكه، وجاء معنى المِنْهَاج في القرآن الكريم في محكم كتابه العزيز في قول الله تعالى: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾، [المائدة:48]. والمِنْهَاج بمعنى: الطّريق الواضح والمستقيم. وأصطلح على معنى المنهج: بفتح الميم – هو النَّهج – المَسْلَك أو المسار البيّن الواضح لتحقيق هدف ما، والمسلك المبتغاة والحقيقة المرتضاة، المعبّر عنه بصدق الظَّاهر من الأقوال، والباطن المطابق للعمل من الأفعال.

5ــ الإسلام: الانقياد، والدُّخول في السِّلم، أي الاستسلام، والإخلاص في العبادة لله وحده لا شريك له، بقول لفظ كلمة التَّوحيد: لا إله إلا الله، والفعل بإفراد العبادة فيها لله تعالى اعتقاداً بالقلب، ووفاءً بالفعل وعملاً بالجوارح، وإيماناً بما قضى الله وقدَّر؛ وذلك بإتباع ما أمر به، واجتناب ما نهى عنه وحرَّمه.

6ــ الشَّخصيّة: يرتبط مفهوم أو مصطلح الشّخص أو الذَّات في الفلسفة بالجانب المعنويّ والروحيّ للبنية الماديّة والبيولوجيَّة للفرد؛ فهو يشمل الهويّةَ ومدى مطابقتها للذّات التي تُعدّ الجوهر الروحيّ الظّاهر في الطِّباع، واختلفت مُسمَّيات الشّخص أو الجوهر على مدى تاريخ العلوم الفلسفيّة، فسميت بالنّفس، والفكر، والشعور، إلى غير ذلك من المسمّيات، وفي مجمل المعاني تطلق على الشَّخص البيولوجي العاقل، الذي له العديد من القدرات في آنٍ واحد، تمكّنه من الفهم والتَّخيل والإحساس والإرادة الحرّة والشعور والتفكير والاستدلال، لترابط كل الخبرات السابقة في الماضي مع الأحداث الحاضرة واللّاحقة داخل الذاكرة، ومن ثَمَّ تُحدد شخصيّته المتميّزة عن غيره.

7ــ السّعادة: معناها العام شعور داخلي نسبي يختلف باختلاف قدرات الفرد وأحاسيسه وإمكاناته ودوافعه الشّخصية، إلّا أنّها تُعبر عن الحسّ أو القَدَر أو الظّرف المشترك بين النّاس بما يعود عليهم بالنّفع والخير والرِّضا والرّاحة النَّفسيّة؛ فهي نوع من الفرح والابتهاج تضفي كل ما يُدخل السُّرور على النّفس الإنسانيّة.

ثانياً- أدبيات البحث السّابقة:

Literature Research History

سنَّة الله في خَلقه أنْ تكون مكارم وفضائل الإيثار بين النَّاس في الحياة كلّها بلا تعيين، ومِن وُجُوهِهِ محبَّة إيثار الجاه والسّلطان والمأكل والمشرب والملبس والمآل، والنَّفس وصحَّة البدن والوقت والجهد والحياة وحبّ تعلم العلم، وتعليمه والنُّصح للغير والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، إلى غير ذلك من وُجُوه الإيثار بلا حد ولا نهاية، فمكارم الجزاء على العطاء والشّكر على النَّعماء، والدّعاء على جزيل الوفاء جزاء الشُّكر بالثَّناء على فعل الخير والقول الجميل، إنَّ ذلك يُضاهي فضل مكارم العطاء ويزيد، فلما حلَّ المهاجرون على الأنصار في دورهم وديارهم بالمدينة المنَّورة؛ آثروا وأحبّوا الثَّناء عليهم بجميل الفعل وصنيع المعروف، وظنّوا ألاَّ جزاء لهم في مقابل من أجْزل لهم العطاء، فجاء عن أنس ﷺ أنَّه قال: قالت المهاجرون: "يا رسول الله ذهبت الأنصار بالأجر كله ما رأينا قوماً أحسن بذلاً لكثيرٍ ولا أحسن مواساة في قليلٍ منهم، ولقد كفونا المئونة قال: أليس تثنون عليهم به وتَدعون الله لهم قالوا: بلى

قال: فَذاك بِذاك"[7]، فالعمل القليل مهما كان نوعه إنْ كان في طاعة فعند الله ثوابه عظيم، حتى وإنْ كان دون جهد وعناء، وأيسره الشُّكر على مكرمة العطاء، بل أكثر من ذلك فإنّ الله تعالى يساوي أجر جهد العمل أو العطاء في مقابل الثَّناء والدُّعاء لمن أعطي، وفي ذلك جاء في الحديث المرفوع عن النّعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ في رواية المروزي عن النَّبي ﷺ قال: "التَّحدث بنعم الله شكر وتركها كفر، ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير، ثم زاد أبو القاسم في روايته ومن لا يشكر النَّاس لا يشكر الله، والجماعة بركة والفرقة عذاب"[8]، وذلك أنَّ يد الله مع الجماعة. وممَّا جاء في الهدي النَّبوي في حُبّ السعي لطلب العِلْم وتَعَلُّمه والعمل به وتعليمه عن كثير بن قيس قال أتيت أبا الدّرداء وهو جالس في مسجد دمشق فقلت يا أبا الدَّرداء، إنّي جئت من مدينة الرسول ﷺ في طلب حديث بلغني عنك، أنَّك تحدث عن رسول الله ﷺ فقال : ما جاء بك حاجة ولا جاءت بك تجارة، ولا جاء بك إلا هذا الحديث. قلت نعم، قال: فإنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول "من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً من طرق الجنَّة، وإنّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإنَّ فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإنَّ العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في جوف الماء، إنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وورثوا العلم فمن أخذه فقد أخذ بِحَظٍ وافر"[9].

ومن أسمى ونوادر الرَّحلات في طلب العلم[10]، ما جاء عن قصة العالم: أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد الأندلسي. المتوفى سنة: 276 هـ، فقد نقل بعض العلماء من كتاب حفيده قصته برحلته الطَّويلة الشّاقة لمدة سنة، قال: رحل أبي من الأندلس إلى مكّة المكرَّمة ماشياً، ومن مكّة إلى بغداد؛ بغيته ملاقاة الإمام: أحمد بن حنبل، فلمّا وصل بغداد أُبلغ بمحنته بأنّه ممنوع، فاغتمَّ غمًا شديدًا، وتحايل حتى قابله وقال له: إنِّي رجل غريب، نائي الدَّار، هذا أول دخولي هذا البلد، بعد سنة من سفري، ولم تكن رحلتي إلّا إليك. فقال: ادخُل هذا الممر بشرط ألاَّ يقع عليك عين. فدخل فقال له: وأين موضعك ؟! قال: المغرب الأقصى، بلدي الأندلس. ردَّ عليه: إنّ موضعك

لبعيد، وما كان شيءٌ أحبّ إليَّ من أنْ أحسن عون مثلك على مطلبه، غير أنِّي في حيني هذا ممتحن بما لعلَّه قد بلغك. فقال له: بلى قد بلغني، وأنا على مشارف بلدك، مقبل نحوك. ثمَّ قال له: يا أبا عبد الله، هذا أول دخولي، وأنا مجهول العين عندكم، فإنْ أذنت لي أنْ آتي كل يوم فأقول عند الباب ما يقولونه، فتخرج إلى هذا الموضع، فلو لمْ تحدثني في كل يوم إلا بحديث واحد لكان لي فيه كفاية. فأجابه: نعم على شرط أنْ لا تظهر في حِلَق العلم، ولا عند المحدِّثين. فقال: لك شرطك. فكان يأخذ عصا بيده، ويلف رأسه بخرقة مُدَنَّسة، ويجعل ورقه ودواته في كمّه، ثمَّ يأتي بابه، فيصيح: الأجر، رحمك الله، فيخرج إليه ويُغلق باب الدَّار، ويحدثه بالحديثين والثّلاثة والأكثر، فالتزم معه حتى مات الممتحن له، وولي بعده من كان على مذهب السنَّة، فظهر أحمد من سجنه، وعلَت إمامته، وكانت تضرب إليه آباط الإبل من كل أرجاء المعمورة، فعرف له حق صبره فحظي بمكانة في نفسه، فكان إذا أتاه بحلقته فُسح له، ويقصّ على أصحاب الحديث قصته معه، وأصبح يناوله الحديث مناولة، ويقرؤُه عليه، ومن ثمَّ يعود هو يقرؤه عليه، حتى أجازه وعاد لبلاده، فهذا العالم الأندلسي رحل من أقصى الغرب إلى أقصى الشّرق على قدميه ليلقى الإمام أحمد، فلمَّا وجده محبوسًا ممنوعًا عن النّاس تلطّف وتحيَّل حتى لقيه، فأخذ العلم عنه، وحفظ له الإمام أحمد صبره في طلب العلم وقرّبه منه، حتى نال بغيته ومطلبه من العلم.

وعن بن عقيل أنَّ جابر بن عبد الله حدثه أنَّه بلغه حديث عن رجل من أصحاب النَّبي ﷺ قال: ابتعت بعيراً فشددت إليه رحلي شهراً حتى قدمت الشَّام فإذا عبد الله بن أنيس فابعث إليه أنَّ جابراً بالباب فرجع الرسول فقال: جابر بن عبد الله، فقلت نعم فخرج فاعتنقني قلت حديث بلغني لم أسمعه خشيت أنْ أموت أو تموت، فقال له سمعت النَّبي ﷺ يقول: "يَحْشُر الله العباد أو النَّاس عراةً غرلاً بهماً قلنا ما بهماً؟ قال ليس معهم شيء فيناديهم بصوت يسمعه من بَعد أحسبه قال كما يسمعه من قَرب أنا الملك لا ينبغي لأحد من أهل الجنّة، يدخل الجنّة وأحد من أهل النّار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النّار يدخل النّار وأحد من أهل الجنّة يطلبه بمظلمة، قلت

وكيف وإنّما نأتي الله عراة بهماً قال بالحسنات والسَّيئات"[11].

وممّا قلّ ودلّ عن مكارم طلب العلم والبحث عنه مهما بلغت الصِّعاب إليه، فقد تحدث أحمد بن سنان، قال: سمعت عبد الرحمن بن مهدي، يقول: "كنَّا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال له: يا أبا عبد الله جئتك من مسيرة ستة أشهر حمَّلَنِي أهل بلدي مسألة أسْأَلَكَ عنها. قال: فَسَلْ. فسأله الرَّجل عن المسألة، فقال: لا أحسنها. قال: فبهت الرَّجل كأنَّه قد جاء إلى من يَعْلَم كلَّ شيءٍ. فقال: أيّ شيء أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم؟ قال: تقول لهم: قال مالك: لا أُحسن. وذكر ابن وهب أيضاً في كتاب المجالس قال: سمعت مالكاً، يقول: ينبغي للعالم أنْ يألَف فيما أشْكَلَ عليه قول: لا أدْري؛ فإنَّه عسى أنْ يُهَيأ له خير، وقال ابن وهب: وكنت أسمعه كثيراً ما يقول: لا أدري. وقال في موضع آخر: لو كتبنا عن مالك: لا أدري، لملأنا الألواح" [12]، وجاء عن صالح بن أحمد بن حنبل، قال: حدثني أبي قال: حدثني محمد بن إدريس الشّافعي، قال: سمعت مالك بن أنس، يقول: سمعت ابن عجلان يقول: "إذا أغفل العالم: لا أدْرِي أُصيبت مَقَاتله"[13].

وممّا جاء في إيثار حبّ الإيثار عند الصُّوفيّة بأنّه أكَرَمَ خُلُقْ على النّفس صبراً بأنْ لا يتأوَّه العبد إذا أصابه البلاء، فقيل عن بعضهم أنّه لما أوشي عنهم[14] بالزّندقة، رفع أمرهم للخليفة فأمر بضرب أعناقهم، فتقدَّم أحدهم للسّياف مسرعاً دونهم لضرب عنقه، فقال له السّياف: أتدري إلى ماذا تبادر؟، فقال: نعم فقال وما يُعَجِّلَكَ؟ فقال أُوثر عليٍّ أصحابي بحياةٍ ساعةٍ، فتحير السّياف وردهم جميعهم إلى الخليفة، فدفعهم إلى القاضي؛ ليتعرّف حالهم فألقى القاضي على: أبو الحسين النَّوري[15]، مسائل فقهيّة، فأجابه عن الكلِّ، ثمَّ أخذ يقول: وبعد فإنّ لله عِباداً قاموا بالله، وإذا نطقوا نطقوا بالله، وسرد ألفاظاً أبكى بها القاضي، فأرسل القاضي إلى الخليفة، وقال: إنْ كان هؤلاء زنادقة: فما على وجه الأرض مسلم؛ وذلك أنّه تيقَّن أنَّهم على علمٍ وعملٍ بأمور الشَّريعة بالبرهان والدّليل والحّجة القاطعة.

وكذلك الأمر نجد في عبارات الصُّوفيّة وصفاً في حدّ المحبّة عند البعض منهم أنّها الإيثار، قال ابن قدامه[16]، عندما ذكر درجات السّخاء: "وليست بعد الإيثار درجة في السّخاء"[17]، والمجمل: فإنّ أساس

الإيثار في العلم والعمل والعطاء الاختيار الطَّوعي بالنيّة[18]، الصّادقة والعزم الأكيد في إسداء الخير بلا تمييز من حظوظ النّفس بالإحسان للغير، دون قيود ولا شروط، وبالأخص عندما يكون المرء أحوج ما يكون للشَّيء، إلّا أنَّه يؤثر غيره دون نفسه، فالنّية أساس العمل في الإسلام، وهي إرادة القصد أو العزم المتقدِّم عن الفعل بوقت قد يقصر أو يطول، وحسن النّية وصدقها لا يتم إلا بتطابق الأقوال والأفعال، إذ لا يبلغ العبد أعلى مراتب مكارم الأخلاق حتى يكون مؤمناً، ولا يكون مؤمناً (كاملاً) حتى يعمل بما علم، فكل القيم الأخلاقيَّة مرتبطة بالنِّية، وترتبط النِّية بنوع الغاية التي قام من أجلها الفعل، ولذلك يرتكز الفعل الإنساني في الدِّين الإسلامي على النِّية، فجاء عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر يقول: "إنّما الأعمال بالنِّيات، وإنّما لكل أمريء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما جاهر إليه"[19]، أي أنَّ صدق النِّية ممَّا يقع من الإنسان من أقوال وأفعال، يترتب عليه الجزاء بمقتضى قصده، وعزم قلبه الأكيد الذي لا يعلمه إلّا الله تعالى، فمفارقة الدِّيار والأهل والأخوان فيه مشقَّة ومجاهدة نفس، بمقربة من مشقَّة الجهاد في سبيل الله. فعن أنس عن النَّبي ﷺ قال: "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"[20]، قال هذا حديث صحيح، وفي رواية للنِّسائي: "حتى يحب لأخيه من الخير ما يحبّ لنفسه"[21].

ثالثاً- الإيثار في اللغة والاصطلاح:

الإيثار لغة: مصدر القول آثره عليه يؤثره إيثاراً بمعنى فضّله وقدّمه، وهو مأخوذ من مادّة (أث ر) الّتي تدلّ على تقديم الشّيء، ومن ذلك لفظ: الأثير وهو الكريم عليك الّذي تؤثره بفضلك وصِلَتِكَ، آثرت[22]، والإيثار: إعطاء نصيبك غيرك تبرُّعاً من نفسك، ويقال: آثرته بكذا أي خصّصته به، وفضّلته أي يؤثرونهم على أنفسهم بأموالهم ومنازلهم لا عن غنى، بل مع احتياجهم إليها، ومآثِر العرب[23] تعني: مكارِمُها ومفاخِرُها التي تُؤْثَر عنها، أَي تُذْكَر وتروى، وآثَرَه أَكرمه ورجل أَثِير، مكين مُكْرَم والجمع أُثَرَاءُ، وجمع الأثير أَثْراء، والمآثر ما يروى من مكارم الإنسان، ويستعار الأثر للفضل والإيثار للتّفضّل، وآثر أنْ يفعل كذا: فَضّل وقَدّم، وضدّه الأثرة من قولهم استأثر بالشّيء بما انفرد

به، أو اختصّ به نفسه، وجاء في التّنزيل قول الله تعالى:﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾، [يوسف:91]، والاستئثار: الانفراد بالشّيء. والمأثرة بفتح الثّاء وضمّها: المكرمة وآثرت فلاناً على نفسي من الإيثار، وهو الاختيار والتّفضّل، والأثرة عكس الإيثار، لأنَّ الأثرة تعني استئثار المرء عن أخيه بما هو محتاج إليه.

أما الإيثار اصطلاحاً: فهو تقديم الغير على النّفس في النّفع لهم والدّفع عنهم، وهو النّهاية في الأخوّة[24]، بشرط أنْ يأتي الفعل بعفويّة وطوعاً واختياراً دون تكلّف ومشقّة أو عناء، وهذا أصل الإيثار في الأخلاق[25]، بإيثار غيرك على نفسك بما يختص بك، وإنْ كان بك حاجة، وفي المعاملات أنْ تكون غايته اختيار رضا الله على رضا الغير في البذل، وإنْ كان ذلك الغير نفسك، ويقال[26]:آثرته بكذا؛ أي خصَّصته به وفضّلته، وأنّ هذا الإيثار لا يكون عن غنى، بل مع احتياجه الشّديد له.

الإيثار شرعاً: التّفضيل والتّقديم قال الله تعالى:﴿لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾، [يوسف:91]؛ أي: لقد فضّلك الله علينا، واختارك واختصّك بالعلم والحِلم، والحُكم والعقل والملك[27]؛ وهو بمعنى يدل على تقديم الغير على النّفس من الحظوظ الدّنيويّة، ورغبة في الحظوظ الدِّينيّة، وذلك ينشأ عن قوة اليقين وتوكيد المحبّة والصبر على المشقّة.

أما الأثرة: لغة[28]: فهي من مادّة (أ، ث، ر) الّتي تدلّ على تقديم الشّيء، يقال: لقد أثرت بأنْ أفعل كذا، ومعنى: (الأثر) همّ في عزم، والمرأة الأثيرة، واستأثر فلان... بالشّيء أي استبدّ به، وقيل: استأثر بالشّيء على غيره: خصّ به نفسه، واستبدّ به. والاستئثار: الانفراد بالشّيء، وتطلق اصطلاحاً[29]: على معنى الاختصاص بالشيء للنّفس دون الغير، فهي مسعى متواصل للاستئثار بالخيرات كلّها، والأثرة خلق قبيح وطبع نابٍ يشين المرء، ويسيء إلى مكرمته وسمعته، وهي تجمع البخل والطّمع والحسد والجشع، والأثرة نقيض الإيثار وعكسه.

رابعاً- مراتب أو درجات الإيثار:

مراتب الإيثار عديدة: [30]، منها أنْ يخص المرء غيره بالشّيء، مع حاجته إليه، وهو مرتبة الإيثار، وعكسه الأثرةُ وهي استِئْثَارُهُ عن أخيه بما هو محتاج إليه، ومن الإيثار أنْ لا ينقصه البذل، ولا يصعب عليه، فهو

منزلة السّخاء، وأعلى مراتب الإيثار[31]، إيثار رضا الله ورسوله ﷺ على رضا النّفس وغيره أياً كان، حتى وإنْ تعرَّض المرء لنوائب الدّهر واشتدّت به المصائب والمحن في ماله وأهله وبدنه وأحبابه، وهذه المرتبة من درجات الأنبياء والرّسل عليهم أفضل الصَّلاة والسَّلام، ومن بعدهم الأصفياء الأمثل ثمَّ الأمثل، ولابد أنْ يكون إيثار الله على جميع الخَلْق والمخلوقات بمرضاته وحسن طاعته واجتناب ما نهى عنه، وحبِّه ولا يطلب سواه، فلا منجى منه ولا يلجأ إلا إليه، وهو بصنيعه هذا لا يبتغي من وراء ذلك إلاَّ مرضاة ربِّه حتى وإنْ أغضب الخلق، وإيثار محبَّة الدِّين عما سواه من الأقوال والأعمال كما جاء عن سَحَرَةِ فِرعون ومن آمن من قومه في قول الله: ﴿**قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾، [طه : 72]، ويكون إيثار الغير على النّفس بكل أنواع الخير، وهو من شيم الأنبياء والمرسلين؛ من الوقت والجهد والعلم والمال والإحسان والخدمة وغير ذلك من صنيع المعروف، ومن وجوهه: أنْ ينسب إيثار العبد إلى الله تعالى، فهو المغدق على العباد بالنِّعم على وجه الحقيقة فهو المؤثر أيضاً، قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾[النحل: 18]، فينسب الإيثار إلي الله جلَّ وعلا، مع شكره على فضله وإحسانه وإكرامه. وقد أثنى الله تعالى على أصحاب رسول الله ﷺ بالإيثار فقال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[الحشر:9]، فثمَّة أوجه عديدة من التَّشابه بين معاني ألفاظ:(الإيثار والسّخاء والجود والكرم) ومجالات استخدامها إلا أنَّ بينها اختلاف في بعض الخصوصيّات المتعلقة بالمعاملات الإنسانيّة، وما يمكن بيانه أنَّ مجمل هذه المعاني تتجلّى منها سمات عديدة يجعلها متداخلة ومتقاربة ومترابطة ومكمِّلة لبعضها البعض حسب التقسيم التالي:

الإيثار: العطاء دون إمساك بطيب خاطر ممّا آتاه الله من النِّعم والوقت والجهد والخيرات، ومن كل ما هو في أمس الحاجة إليه.

السخاء: أنْ يكون عطاء العبد دون مشقّة ولا عناء، وألَّا يصعب عليه فعل السّخاء، أو يؤثر على نفسه البذل أو العطاء.

الجود: عطاء من غير حدود من الأفضل، ويبقي اليسير ممَّا هو ضروري للنّفس والأهل.

الكرم: الإحسان بالعطاء للغير مدى الحياة، حتى وإنْ احتاج هو أو أهله ممَّا هو مُعطى.

1ـ إيثار الصَّبر عند المشقّة:

الصَّبر على تحمّل المشقّة ضرّ، كالصَّبر على الفقر لكن يكون حال صاحبه أغنى النّاس، فمن افتقر إلى الله تعالى اغتنى بمعزّته، وارتضى بما هو عليه حاله، أو بما أعطاه الله وهو غنى النّفس عمَّا عند النّاس من حظوظ، وعمَّا سوى الله، وذاك كله غنى القلب، وما ادخره الله له يوم القيّامة من النَّعيم المقيم، ومنه في باب العلم والتعلّم ونحو ذلك، جاء عن أبي هريرة ﷺ قال: أنَّ رسول الله ﷺ قال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً"(32).

2ـ إيثار الضُّر لحفظ الفروج على اقتراف المعصية:

يعد أعلى وأقوى معين على تقوية الإيمان، والسبيل إلى محبّة الله تعالى ومرضاته، لأنَّ فيه صلاح الدِّين والدُّنيا، وثمرة من ثمار الآخرة، وأعلى مراتب اليقين أنْ يؤثر المرء أنْ يقذف في النّار أحبّ إليه من أنْ يعود إلى الكفر والضلال، فعن أنس بن مالك أنَّ رسول الله ﷺ قال: "ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان؛ من كان الله ورسوله أحبّ إليه ممَّا سواهما، والرَّجل يحبّ الرَّجل لا يحبّه إلا لله، والرَّجل أنْ يقذف في النّار أحبّ إليه من أنْ يرجع يهودياً أو نصرانيّاً"(33).

وجاء في محكم البيان القرآني في قصة سيدنا آدم -عليه السَّلام وأُمّنا حواء- عندما دلَّهما إبليس عليه لعنة الله بغرور في قوله تعالى: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ(21) فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف:21،22]. والمثل الأعلى والأسوة الحسنة من بين عباد الله في المرسلين والأنبياء(34)؛ نبي الله يوسف -عليه السَّلام- فقد جاء عن ابن عبّاس -رضيَّ الله عنهما- قال: قالت: "امرأة العزيز ليوسف -عليه السَّلام- يا يوسف

إنّي كثيرة الدُّر والياقوت والزُّمرد فأعطيك ذلك كلّه، حتَّى تنفقه في مرضاة سيدك الَّذي في السَّماء"[35]، وزيادة على ذلك جاء النَّص الإلهي في حقها بقوله تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، [يوسف:23]، فنبيَّ الله يوسف عليه أفضل الصلاة والسَّلام أبعد أنْ يكون عن اقتراف الأعمال الخبيثة والفواحش الدنيئة ما ظهر منها وما بطن، ومن ثمّ تكون نفسه عفيفة ومصونة من الله جلّ وعلا من اقتراف محقِّرات الذُّنوب ومنكراتها، إذ قال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ﴾، وما قابل الإحسان إلا بأفضل منه، وهو صون عرض سيده، ومن جانب آخر فإنّ الله تعالى مدحه وأثني عليه بأعظم الأوصاف، بأنّه من عباده الطَّائعين في قوله تعالى:**﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾**، [يوسف : 24].

3ـــ الإيثار المذموم:

يتعلَّق بإيثار الباطل على الحقّ، وهو على وجوه متعدِّدة، أساسه سمة إيثار الحبّ على الإرادة، ومنه إيثار حبّ الدّنيا على الآخرة، وهو من أسوأ ميول النّفس البشرية؛ لأنّ الآخرة خير وأبقى، وكذا الأمر عند صدّ العباد وتحفيزهم عن قبول الدّين وإتباع أمر الله، والبعد عمّا نهى عنه، كما جاء في وصف الكفّار في قول الله تعالى: **﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾**، [إبراهيم:3]، أي أنّهم يمنعوا النَّاس من قبول دين الله تعالى، ومن تلك الصِّفات المذمومة[36]، جــاءت فــي الوصف القرآني بقول تعالى:**﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً﴾**، ومن ثمّ يكون الإضلال على مراتب منها: أنْ يسعى في صدّ الغير عن إتيان الخير، وأنْ يسعى في إلقاء الشُّكوكِ، والشّبهات في المذهب الحقّ، ويحاول تقبيح الحقّ بكل ما يقدر عليه من المكر والحيل، وهذا هو النّهاية في الضلال والإضلال[37]، وإليه أشار الله تعالى إلى أنّهم يطلبون الدُّنيا على طريق الميل عن الحقّ، من الجهة الأولى باقتراف الحرام، وهي أقصى مراتب الضلال، فإنَّ شرط الضدّين أن يكونا في غاية التَّباعدِ كالسَّواد والبياض، والوجه الثّاني هو أنّ المراد بعد ردّهم عن الضَّلال إلى الهدى، والثّالث أنّ المراد بالضَّلال: الهلاك، والتّقدير: أولئك في هلاك يطُولُ عليهم فلا ينقطع، وأراد

بالبعد: امتداده وزوال انقطاعه، ولذا فآثر غيره بذلك، أدّى إلى هلاك نفسه، أو الإضرار بها، كمن كشف عورته، فمراعاة حفظ الفروج أحقّ وأولى على كل حال، فإذا سقطت هذه الواجبات صحّ الإيثار، ومنه عندما يسيطر إيثار الحبّ الفاحش على الإرادة والقلب، كما فعلت امرأة العزيز؛ وهو أعلى مراتب الضلال بالبعد عن طريق الحقّ ، فآثرت حبّ الضلال عن الهدى ، ومن ثمَّ توعدت سيدنا يوسف عليه السَّلام بالسِّجن في المرحلة الأخيرة ، وهو أبلغ وأشدّ العقوبات بحسب تقديرها، بعد أنْ يئست من إغوائه وإغرائه في نفسها وفي مالها، وفي ذلك جاء قول الله تعالى:**﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾**،[يوسف: 32]، فكانت إجابته أنْ آثر حبّ السّجن عن إتيان المعصية، وتلبية طلب سيدته، وهي آثرت شغف حبّها لغلامها عن صون عرضها، وعزّ سِيَادَتِها في بلاط سلطان الملك بين الخدم والحشم، وفي ذلك قال الله تعالى: **﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾**، [يوسف:33، 34]، كان يوسف -عليه السَّلام= رفيع النّفس قويّ الجأش وعظيم الخاطر، فامتنع عن فعل الفاحشة، وطلب من الله تعالى صرف السّوء عنه، وفوق كل ذلك اختار السّجن بما فيه من مشقّات ومهانة وإذلال واحتقار وعذاب على الشّهوة الآنيّة المهينة الحقيرة التي يعقبها العذاب الأليم إذا خالف أمر الله، وحصل ذلك قبل أنْ يطلب من ربّه العليّ القدير أنْ يصرف عنه السّوء.

ومن أمثلة الإضلال ما صدر عن إمام الكفر: أبو لهب مسيلمة الكذّاب؛ فكان يصد أبا طالب عن قول لا إله إلا الله حين حضرته المنيّة، إذ كان يقول له أتسفِّه دين آبائك؟، بحضرة النَّبيّ محمد ﷺ، فقد نقل عن سعيد بن المسيب عن أبيه أنّه قال: "لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أميّة بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ لأبي طالب : أي عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله يوم القيّامة، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أميّة : أترغب عن ملَّة عبد المطَّلب؟ فلمْ يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعاندانه بتلك المقالة

حتى قال أبو طالب آخر ما كلَّمهم به: على ملّة عبد المطّلب وأَبَى أنْ يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: أَمَا والله لاستغفرنَّ لك ما لمْ أنه عنك، فأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾، [التَّوبة: 113]، وأنزل الله في أبو طالب: **﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾**، [القصص:56].

كما أنَّ الإيثار في القرب أو التَّقرّب من الله جلّ وعلا مذموم، وغير مباح شرعاً لإسقاط حظ النّفس من الثّواب للغير؛ لأنّها أمور خالصة لله تعالى تعظيماً وتشريفاً وإجلالاً دون سواه، جاء في الحديث عن سهل بن سعد ﷺ قال: أتي النَّبي ﷺ بقدح فشرب منه وعن يمينه غلام أصغر القوم، وعن يساره أشياخ، فقال: "يا غلام أتأذن لي أنْ أعطيه الأشياخ" (38)، قال: ما كنت لأوثر بفضلي منك أحداً يا رسول الله فأعطاه إياه.

خامساً- سبب تقديم إيثار العاجل وعدم حب جزاء الآجل:

لإيثار حبّ العاجل أمور عديدة، منها على سبيل الاختصار الجهل ببقاء ما سيأتي عن جزاء الآخرة، وفضله على كل عاجل في الحياة الدُّنيا، كما أنَّ حبّ الإنسان للبقاء طبع في النَّفس الإنسانيَّة بمقتضى الإرادة الإلهيّة، وممَّا قيل عن ذلك إنَّ: "الإنسان مطبوع على حبّ البقاء، وإذا كان لا سبيل إلى بقائه بذاته، وكان يؤمن بذلك من مشاهداته، وصنيع الله في آبائه وأجداده وسائر الأحياء، فإنّه يرى أنَّ سبيله إلى البقاء إنّما هو النّسل المعروفة نسبته إليه يراه امتداد إلى بقائه، واستمراراً لِذِكْراه وخُلُوداً لحياته"(39)، فإيثار الحياة الدُّنيا طبع غالب على الخلقة الإنسانيَّة(40)، فيما بيَّنه الله تعالى، وسوء تقدير مدّة البقاء في الحياة الدُّنيا، والأمل والطمع في طول العمر، وشغف الأنفس بحبّ ما في الدُّنيا من ملذات وسعادة آنيَّة زائلة، وقد بيَّن الله تعالى ذلك في محكم قوله:﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾، [آل عمران

: 14]. كما جاء في قوله تعالى: ﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا(16) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى(17) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى(18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**﴾، [الأعلى: 16- 19]، كما أنَّ الشَّرَّ قَدِيمٌ في الطّباعِ، بحسب ما جاء في القصص القرآني في قول الله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾، [البقرة:30]، وبقصة ابْنَيْ أدم -عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾، [المائدة: 27]. إلى قوله تعالى: ﴿**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾، [المائدة: 30]، إضافة إلى ذلك ما يلمّ بالإنسان من نزغات الشيطان وإغوائه وتسويفه من حيث لا يدري، وجهل الإنسان بمقدرات أمره.

سادساً- فوائد الإيثار العمليّة للعالم والمُتعلم:

يربط الإيثار الصلّة بين العباد؛ التي لا تنفصم عراها إذا كانت موثقة بالله، وكان العمل خاصاً لله تعالى، بالكلمة الطيِّبة لأنّها صدقة جارية إذ لا تنقطع ثمارها لا في الدّنيا ولا الآخرة؛ ففي الحديث عن أبي هريرة ﷺ: أنّ النَّبي ﷺ قال: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، وعلم يُنتفع به، وولد صالح يدعو له" (41)، وهذه الجوانب أرشد إليها الهدي النَّبوي الشريف، ومنه ما جاء عن عبد الله بن مسعود قال: قال: النَّبيّ ﷺ "لا حسد إلّا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحقّ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها" (42)، الإشارة للحسد في الحديث ليس زوال النّعمة من الغير وتمنيها للنَّفس، بل يدل على الغبطة بتمني ما عند الغير من النِّعم والخيرات والعلم للنَّفس دون تمنى زوالهما من الغير، بوقاية النّفس من مرض الشّح والإنفاق منه ابتغاء مرضاة الله وفي سبيله، والعلم النافع لكبح هوّى النّفس به وتعليمه للغير، فعن أبي موسى عن النَّبي ﷺ قال: "مثل ما بعثني الله به من الهُدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً، فكان منها نقيَّة قبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها النَّاس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصابت منها

طائفة أخرى، إنَّما قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأً، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به، فَعَلِم وعلَّم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً، ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به" (43)، وذلك يدلُّ على أنّ العلم مثل المطر الذي ينتفع به في الزّرع والضَّرع والمعيشة، ومنه من لا ينتفع به مثل المطر الذي يصيب الأرض التي تمتص الماء فلا ينتفع من وراءه إنسان ولا حيوان، ولا أرض بإنبات الزَّرع المثمر والكّلأ؛ تعبيراً عن الإنسان المتكبِّر الَّذي لا ينتفع هو بعلمه ولا ينفع به غيره بعد تحصيله.

فإيثار الحبّ والتَّواد بين النّاس بدل الكراهيّة والبغض والشُّحناء دليل على الإيمان والمحبّة الإلهية في الإسلام؛ هو السَّبيل لتقوية الرَّوابط والصِّلات الاجتماعيّة بين النّاس، فمن كمل إيمانه زادت محبَّته لله ورسوله والمسلمين أجمعين، فعن أبي هريرة قال: قال: رسول الله ﷺ : "لا تدخلون الجنّة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابّوا أولَا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السَّلام بينكم"(44)، وهذا الأمر من أيسر السبل للمحبّة الصّادقة، ويقصد بكمال الإيمان في الحديث لا يصلح ويستقيم حالكم إلا بالمحبّة والتّواد بينكم، ولا يسود بينكم إلا بالسَّلام على كافّة المسلمين ممَّن يَلقى أحدكم ويعرفه أو من لا يعرفه.

والبخل بالعلم من أسوا الرذائل وطباع النّفس الإنسانيّة، فقيل: "البَخلُ بالعلم ألأَمُ من الباخل بالمال، لأنّ الباخل بالمال أشْفقَ من فناء ما بيَدِه، والباخل بالعلم بَخِلَ بما ينفى على النَّفَقة، ولا يفارقه مع البذل" (45)، كما أنّ من مفاسد هذا الطَّبع تضييع شكر المنعم بإحسان الله إليه بتفضيله على غيره ممَّن خلق واصطفاه وهداه إلى الطريق القويم، الَّذي سار على هديه الأنبياء والمرسلون الَّذين حفظوا الأمانة وأدوها على وجهها الأكمل.

سابعاً- تعلم العلم وفضائل تعليمه في الإسلام:

1ــ آداب طلب العِلم والتَّعلّم:

يلتزم طَالب العلوم السمت الفاضل المحمود بخيرِ القول والفعل مع أُستاذه، مع حسن الاستماع قبل حسن التَّعلم والكلام، والإنصات الجيِّد والسؤال والمخاطبة والانتباه مع الفهم والحفظ واستيعاب ما يقال، مع أدب المجالسة وحسن الهيئة، وعدم التَّطاول على الأستاذ، ومداومة

الحضور وعدم اللَّغو، وكثرة الكلام في المجالس خاصّة قاعات الدَّرس ومجالس العلم، واحترام الأستاذ وإجلاله وصون حرمته وتوقيره والتَّلطُّف إليه؛ وفاءً لحقِّه العلمي ومنزلته الأبويّة العلميَّة، والتَّحلي بالأمانة العلميّة وصدق القول ونقاء السيرة والسريرة، ورجحان العقل مع سداد الرأي والتَّبصر والبصيرة لينتفع بالصَّحيح ويفيد غيره بالأصلح، وفي ذلك ما نقل عن سفيان بن عيينة، قال: عمر بن عبد العزيز: "من عمل في غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح "[46]. ولا يتحرَّج من السؤال وقول لا أعرف عندما يُسأل عن شيء لا يدرك كنهه، أو يصف ويقول ما لا يعلم؛ فكما يقال: نصف العلم: لا أدرى ومن ثمَّ يكون نصف ما يقابله: الجهل بقوله: يقال، وأظنُّ ونحو ذلك، فقد جاء عن عطاء بن يزيد الَّليثي: أنّه سمع أبا هريرة ﷺ يقول: سئل النَّبيّ ﷺ عن ذراري المشركين أي أطفالهم، فقال: "الله أعلم بما كانوا عاملين" [47]، فالواجب على المرءِ ألا يتكلف قول ما لا يعلم، فإنَّ من عِلْم المرء أنْ يقول لما لا يعلم: الله أعلم، والأسوأ من ذلك سوء العمل اعتقاداً بمحاسن الظُّنون من جميع المعارف والعلوم فلا محالة من الوقوع في المحظور.

2ـ منهاج طلب العلم:

سبيل البحث عن العلم لابد أنْ يكون من مصادره الأولى، والتَّدرج في طلبه مع التأني في ذلك لاستيعاب ما يُقرأ وترسيخه في المخَيَّلَة والقلب، وفي ذلك جاء قول الله تعالى: ﴿**وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا**﴾، [الإسراء: 106]. وقال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**﴾، [الفرقان:32]. والأصل في طلب العلم أنْ يكون بطريق التَّلقين والتَّلقي عن الأساتذة وشيوخ العلم من الأفواه مشافهة ومدارسة، لا من بطون الكتب والصحائف نقلاً وقراءة، فتعلم العلم كالصّنعة تحتاج إلى صانع متخصص ماهر، وهذا هو المنهج الإلهي في نزول الوحي على النَّبيّ الأميِّ محمد بن عبد الله ﷺ، وفي ذلك قال تعالى: ﴿**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ**﴾، [القيامة: 16-19]، أي فاستمع لقراءة جبريل -عليه السَّلام- وأنصت له، دون أنْ تجهد نفسك وتحرِّك

به شفتيك إنْ كنت تخشى نسيانه؛ لأنّ الله تعالى قد اختصَّه بمزية رسوخ ما يوحى إليه دون عامَّة البشر، إذ أنَّ الله كفل جمعه وحفظه بقلب النَّبيّ ﷺ مع بيان تفسيره ومعانيه وحكمه وأحكامه، وفي مقابل ذلك من أحوال عامَّة النَّاس فإنَّ الأستاذ بمثابة مفتاح باب العلم الموصد.

وقد جاء في الهدي النَّبوي الشَّريف، عن رجاء بن حيوة عن أبي الدّرداء قال: "إنَّما العلم بالتَّعلم والحلم بالتَّحلم، ومن يتحرَّى الخير يعطه، ومن يتوقَّى الشَّر يُوقَّه..."[48]، ذلك كله يرشدنا لأهمية العلم للعالم والمتعلم، به يصل المرء للنَّجاة ويحصل له به الظَّفر بقطف ثمار خيري الدّنيا والآخرة، والفوز بالجنَّة والنَّجاة من النَّار، وجاء عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: أنَّ النَّبي ﷺ قال: "من يرد الله به خيراً يفهِّمه"[49]. فكثير ما يحفظ بعض طلَّاب العلم النُّصوص حفظاً أصمَّاً بالتَّحصيل الذَّاتي دون فهم المضمون والمعنى القريب والبعيد، وبالأخصِّ عند عدم فهم المعاني اللُّغوية المختلفة التي تتضمَّن مترادفات كثيرة، وممَّا قيل في مثل هذه المواطن[50]:

(من لمْ يشافه عالماً بأصوله...فيقينه في المشكلات ظُنون)، (من أنكر الأشياء دون تيقن... وتثبَّت فمعاند مفتون)، (الكتب تذكرة لمن هو عالم...وصوابها بمحالها مَعجون)، (والفكر غواص عليها مخرج... والحقّ فيها لؤلؤ مكنون).

كما لا يؤخذ العلم من لا يفهم ويعي، أو يدرك قيمة ما يُعَلِّمه للغير، وأَشَرّ من ذلك إنْ كان لا يَعْمل بما يَعلم، كما لا يؤخذ عن السُّفهاء وأصحاب البدع والضَّلالة، وكذا إنْ كان غير صدوق ولو مازحاً، حتى وإنْ كان ما ينقل عنهم جميعاً هم أعلم النَّاس اعتقاداً، فقد جاء عن عبد الله بن مسعود قال:"لا يزال النَّاس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أكابرهم، فإذا جاء العلم من قبل أصاغرهم فذلك حين هلكوا"[51]. وقال بعض أهل العلم[52]: إنَّ الصغير المذكور في حديث عمر ﷺ وما كان مثله من الأحاديث: إنَّما يراد به الذي يستفتى ولا علم عنده، وإنَّ الكبير هو العالم في أي سن كان، وقالوا: الجاهل صغير وإنْ كان شيخاً، والعالم كبير المنزلة وإنْ كان حَدَثاً، وأنشد الأبرش[53]، قائلاً:

تعلَّم فليس المرءُ يولد عالماً... وليس أخو علمٍ كمن هو جاهلٌ

وإنّ كبير القوم لا علم عنده... صغيرٌ إذا الْتَفَّتْ إليه المحافلُ.

ومن الشواهد أيضاً على ذلك أنَّ عبد الله بن عبَّاس ﷺ، كان يستفتى وهو صغير في مجلس من يفتيهم، وأنَّ معاذ بن جبل، وعتاب بن أسيد كانا يفتيان النَّاس وهما صغيرا السِّن، وولَّاهما رسول الله ﷺ الولايات مع صغر سنّهما، ومثلهما في العلماء كُثر، فالعلمِ لا يمنع أحداً حداثة سنِّه؛ لأنَّ الله تعالى يضعه حيث يشاء. وممَّا كتب في شروط تحصيل العلم[54]. أول العلم الإنصات، ثمّ الاستماع، ثمّ الحفظ، ثمّ العمل به، ثمّ النَّشر.

3ـ أهميَّة طلب العلم:

طلب العلم مزيّة عظيمة ومرتبة شريفة لها فضل كبير وخير كثير من بين سائر الأعمال، قال الله تعالى:﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾، [التوبة:122أي لتتعلم ولتتفقّه الطَّائفة المتأخرة مع رسول الله ﷺ عن النّفور في سرايا الجهاد في سبيل الله، وهذا يقتضي الحثّ على طلب العلم والنّدب إليه، دون الوجوب والإلزام وثوابه في مرتبة الجهاد، وطلب العلم إمَّا أنْ يكون فرضاً على الأعيان، كالصَّلاة والزَّكاة والصِّيام، وفي هذا المعنى جاء الحديث المرفوع عن أنس بن مالك قوله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم"[55]، فطلب العلم كونه فرض عين على كلِّ مسلم ومسلمة، لمعرفة ما أمر الله به وما نهى عنه، وإمَّا أنْ يكون فرضاً على الكفاية؛ لتحصيل الحقوق وحفظها، وإقامة الحُدود والفَّصل بين الخُصوم ونحو ذلك، إذ لا يشترط انقطاع جميع النّاس ليتعلمونه فتضيع مصالحهم الشّخصيّة وأحوالهم وأحوال الرَّعايا وتبطل معايشهم، ولذا وجب أنْ يقوم البعض منهم بالتَّعلم دون تعيين من الجميع، على أنْ يجتهد المتعلِّم منهم في طلبه وإيثار تحبيب العلم إلى نفسه؛ حتى تألفه ولا تحيد عنه.

4ـ فضل طلب العلم وتعليمه على العِبَادَة:

بطلبِ العلم والاجتهاد في تحصيله تكثر به الحسنات، وتمحوا به الخطايا وترفع به الدَّرجات، فعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال: رسول الله ﷺ: "إنَّ هذا القرآن مأدبة الله فتعلّموا من مأدبته ما استطعتم، إنّ هذا القرآن هو حبل الله والنُّور المبين، والشفاء النَّافع عصمة لمن تمسَّك به ونجاة من

تبعه، ولا يعوجَّ فيقوم ولا يزيغ فيستعتب، ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرّد، فاتلوه فإنّ الله يأجركم على تلاوته بكلِّ حرفٍ عشر حسنات، أَمَّا إنّي لا أقول لكم الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ثلاثون حسنة" [56]، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ: أنَّه قال: "قليل العِلم خير من كثير العبادة، وكفى بالمرءِ عِلماً إذا عبد الله، وكفى بالمرءِ جهلاً إذا أعجب برأيه، إنَّما النَّاس رجلان عالم وجاهل، فلا تُمارِ العالم ولا تُحاور الجاهل"[57]، وعن أبي أمامة الباهلي قال: ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم فقال رسول الله ﷺ: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم، ثم قال: رسول الله ﷺ: إنّ الله وملائكته وأهل السَّموات والأرضين حتى النَّملة في حجرها وحتى الحوت لَيُصلّون على معلِّم النّاس الخير" [58].

والواجب الإقبال على التَّعلم والتَّعليم؛ رغبة بما عند الله من الثَّواب والأجر العظيم، قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾، [الزمر:9]. ذلك للتَّحلي بأسمى فضائل العلوم، والتَّخلّي عمَّا يدفع لأرذل الأخلاق والمعارف، وعن سعيد بن المسيب عن أبي ذر قال: قال لي رسول الله ﷺ : "يا أبا ذر لأن تغدو فَتُعَلَّمْ آية من كتاب الله خير لك من أنْ تُصلي مائة ركعة. ولأنْ تغدو فَتُعَلَّمْ باباً من العلم عمل به أو لم يعمل، خير من أنْ تُصلي ألف ركعة" [59]، وعن قتادة، قال: "باب من العلم يحفظه الرَّجل لصلاحِ نفسه، وصلاحِ من بعده أفضل من عبادة حول" [60].

5- الصّبر على تعلم العلم بعزة النّفس وكبر الهمّة:

الحرص والاجتهاد في طلب العلم وتحصيله، بعيداً عن الكبر والتَّكبر، ساعياً أنْ يكون المرء بالغاً أرقى الدَّرجات بين الأقران، مع إخلاص النّية في ابتغاء مرضاة الله، حذراً من أنْ يتأمل به سبيلاً إلى نيل الأعراض النّفسية، وطريقاً إلى الأغراض الدّنيوية الماليّة، على أنْ يتعاهد العلم بالدراسة والمدارسة بين الحين والآخر، كي لا تنفلت معارفه، كما تنفلت الإبل من عقالها، وهذا أصل ذهاب العلم كما أشار إليه الحديث النَّبوي الشَّريف: عن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: "إنَّما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الإبل المعقَّلة إنْ عاهد عليها

أمسكها، وإنْ أطلقها ذهبت" [61]، ولفظ المعقَّلة، الإبل مشدودة الوثاق بالعقال وهو الحبل، على أنْ يستمر أو يتعاهد على شدّها وربطها، دون أنْ يفكها من عقالها؛ لأنّ الإبل أشد الحمر الأهليّة تفلُّتاً ونفوراً، أي وكذلك القرآن إذا استمر على تلاوته ودراسته بقي محفوظاً في قلب صاحبه، وإنْ أهمله وتركه نسيه وتفلّت منه، وكذا المحافظة والحرص على الوقت والصَّبر على تعلم العلم وعدم الفزع والضَّجر عند مواجهة الصِّعاب، وألَّا ينفذ صبر المتعلِّم إذا استعصى عليه تحصيل العلم، واستغلق قلبه ولم يفتح الله عليه في علم من العلوم، أو فرع من الفروع، أو مسألة من المسائل، فقد ألمَّت ببعض الطَّالبين للعلوم كثير من المحن والشَّدائد في مقتبل تحصيلهم للعلم، لكنَّهم صبروا وجدُّوا واجتهدوا حتى وصلوا أعلى مراتب العلم، وبلغوا مصاف الأعلام المشاهير، من بينهم ما جاء عن العديد من صفوة العلماء ببعض التَّراجم والمصنَّفات وسير أعلام النُّبلاء منهم[62]: ابن الصَّلاح في المنطق، وأبو حامد الغزالي في علوم الدِّين وكُثُر.

6ـ فضل العلم وفضائل العلماء:

جاء في باب العلم قبل القول والعمل، أنَّ عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال: ذكر حديثاً قال فيه أنَّ النَّبيّ ﷺ قعد على بعيره وأمسك إنسان بخطامه أو بزمامه قال: "أي يوم هذا فسكتنا حتى ظننَّا أنّه سيسمّيه سوى اسمه، قال أليس يوم النّحر قلنا بلى، قال: فأيِّ شهر هذا فسكتنا حتى ظننَّا أنَّه سيسمّيه بغير اسمه، فقال أليس بذي الحجّة قلنا بلى، قال: فإنّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا، ليبلغ الشَّاهد الغائب، فإنّ الشَّاهد عسى أنْ يبلِّغ من هو أوعى له منه" [63]، (البخاري. مصدر سابق، مجـ1، ص37). وذلك لقول الله تعالى:﴿ **فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ**﴾، [محمد : 19]، فقد بدأ الله تعالى في محكم التَّنزيل بالعلم قبل العمل، ذلك يدل على فضل العلم وشرف مقداره ، كما كرّم الله تعالى العلماء وفضلّهم على كثير ممَّن خلق، فجعلهم من أصحاب الدَّرجات العالية من الملائكة والأنبياء قال تعالى:﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ**

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، [آل عمران: 18]، فقرن اسم العلماء باسم ملائكته، كما قرن اسم الملائكة باسمه فأوجب الفضل للملائكة بما أكرمهم به، فكذلك فضّل العلماء بما أكرمهم به من مثله، وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾، [فاطر: 28]، فأبان أنَّ خشيته تكون بمزية العلم فقال تعالى: ﴿**هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾، [الزمر: 9]، وقد اصطفى الله تعالى رسوله محمد ﷺ بالقرآن الكريم واختصَّه بالعلم المبين، وامتن عليه بالفضل العظيم، قال تعالى:﴿**وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا**﴾، [النساء: 113] وقال: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾، [المجادلة:11]، وتتفاوت مراتب النَّاس في العلم والتعلُّم، وعن قتادة قال: "إنَّ في الحكمة مكتوباً طوبى لعالم ناطق وطوبى لمستمع واعٍ" [64]، ومن أبرز السِّمات المميِّزة للعلماء هو ما يمسك وحدتهم الصِّدق والموضوعيَّة والثَّبات، أو ما يعرف باتفاق هدفهم في إجراءاتهم المنهجيَّة وأسلوبهم العلمي، وبقوة الفضيلة وسلطانها في نفوسهم، فهم[65]، يتخلَّقون بها في مقابل غيرهم من عامّة النّاس، أصحاب المستويات الشائعة المبتذلة من الحياة العامَّة، لأنّهم لا يخشون إعلان جهلهم ولا تُجَاوِز خصوماتهم السَّمت الحسن واللّباقة.

ثامناً– السَّعادة:

اختلفت تعريفات السَّعادة من شخص لآخر، ومن مجال إنساني آخر، ومن مجتمع إلى مجتمع لآخر، ومن عصر لآخر، وتختلف وسائل تحقيقها وتحصيلها من شخص لآخر، فتعرَّف السَّعادة لغة: من أصل مصدر الفعل: سَعَدَ يسعدُ سعادةً فهو سعيد، وإجمالاً تعرَّف السَّعادة اصطلاحاً في العديد من الاتجاهات الفلسفيَّة العامَّة عند البعض منهم بأنَّها: "الفعل المطابق لأشرف فضيلة، وأشرف فضيلة هي فضيلة العقل النَّظري" [66]، ويرتبط الفعل النَّظري بتحصيل النَّفس لراحتها من الآراء والاعتقادات الصَّحيحة، أمَّا الجانب العملي فتتحصَّل عليه النَّفس من الأخلاق الحسنة والهيئة الفاضلة التي تصدر عنها الأفعال الجميلة والأعمال النَّافعة، ومن هذه الاتجاهات الفكريَّة القديمة على سبيل الذِّكر لا الحصر، التي تفرَّعت عنها المدارس الحديثة والمعاصرة، من أبرزها الآراء الأفلاطونيَّة التي أوضحت أنَّ السَّعادة

تتجلّى في فضائل الأخلاق، وسمو النَّفس عن الرذائل، وتنحصر أمَّهات الفضائل الأخلاقيَّة في الحكمة والشّجاعة والعدالة والعفّة، إضافة لذلك فسعادة الفرد لا تصل إلى كمالها المطلق إلاَّ بعد مآل الرُّوح الإنسانيَّة إلى العالم الآخر، بينما بَيَّنَ مُجْمَل الاتجاه الأرسطي أنَّ السّعادة ما هي إلاَّ بخت أو حظٌّ من الله ، تنحصر في جوانب خمسة ترتبط بصحّة البدن، الثَّروة، النّجاح في الحياة، العقل الرَّاجح، والسُّمعة الطيّبة، إلا أنّ بعض الاتجاهات الفلسفيّة القديمة الأخرى أضفت على هذه الجوانب شروط أساسيّة؛ من بينها الفلسفة الأبيقوريّة التي اشترطت لذّة الجسد لحصول السَّعادة، لأنّ الرّاحة في اعتقادهم أعلى درجات السَّعادة التي تتحقق عن طريق اللّذة أو المتعة، أمَّا الفلسفة الرُّواقيّة فاشترطت ضرورة القناعة لحصول السّعادة، وتابع هذه الاتجاهات الفلاسفة والمفكرين المسلمين(67)؛ إلاَّ أنَّهم أضافوا لأراء من سبقهم بعض الجوانب التي تتعلَّق بالعقيدة، فقالوا السَّعادة تتحقق عندما يصل المرء إلى حالة من التَّوازن بين متطلَّبات البدن والرُّوح، مع شرط التّكامل والتّوازن بين متطلَّبات الإنسان الفرد، وبين متطلَّبات المجتمع، وبين مقتضيات الحياة الدِّنيويَّة للإنسان، وبين عمله لتحقيق مآله في الآخرة، ولذلك فقد بيَّنوا أنّ الدَّار الدُّنيا لا محالة زائلة، وهي دار الفرار، والسَّعادة فيها آنيّة وناقصة، ومن ثمَّ فهي مطيّة لصلاح الإنسان في آخرته وظفره بالخلود في الجنّة التي هي دار القرار، إضافة إلى ذلك فقد تعدَّدت الدِّراسات حول السَّعادة، وامتدت إلى علماء النَّفس وعلوم عديدة بهدف بلوغ الفرد العيش بسعادة وسرور أولاً، وثانياً لتحقيق الجانب التأمُّلي المعرفي للوصول إلى مرحلة الشُّعور والإحساس بالرِّضاء التَّام، وهو أعلى درجات السَّعادة، ولذلك اتَّفقت أغلب الاتجاهات الفكريَّة على أنَّ السَّعادة الدِّنيويَّة إمَّا أنْ تكون قصيرة المدى تستمر لفترات قليلة من الزَّمن، وأخرى طويلة المدى وكلاهما لا تدومان، والسعادة القصوى في الشدة والمدة لا تكون إلا في الآخرة.

تاسعاً- بلوغ مراتب السَّعادة القصوى:

تحصيل السَّعادة لا يكون إلا ببلوغ الحكمة؛ لأنَّ فيها كمال النَّفس وسعادتها، ولذلك قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، [البقرة :

269]، حصول اللَّذة والسُّرور بقدر تحصيل اليقين العلمي، وبلوغ رتب العلم العالية خاصَّة في مقتبل العمر، فأسمى مكسب في عاجل حياة الإنسان في الدُّنيا، ومطيّته لبلوغ مَعاده وسعادته بالإيمان الصادق والطّاعة والخلود في الجنَّة بالآخرة، وأعلى مراتب السَّعادة العمل بما علم من الخير، وفي كل الأحوال فبلوغ العلم الصَّحيح يجر أو يقود صاحبه إلى السَّعادة، وينجِّيه من النَّار ويدرك به بلوغ الجنّة، ولذلك قيل: "إنَّ شرف الشَّيء، إمّا لذاته أو لغيره، والعلم حائز للشَّرفين جميعاً، لأنَّه لذيذ في نفسه، فيطلب لذاته، ولذيذ لغيره فيطلب لأجله، أمَّا الأول فلا يخفى على أهله أنَّه لا لذَّة فوقها؛ لأنَّها لذَّة روحانيَّة وهي اللَّذة المحضة، أمَّا اللَّذة الجسمانيَّة فهي دفع الألم في الحقيقة، كما أنَّ لذّة الأكل دفع ألم الجوع، ولذّة الجماع دفع ألم الامتلاء، بخلاف اللَّذّة الروحانيَّة فإنّها ألذ وأشهى من اللَّذائذ الجسمانيَّة، ولذا كان الإمام أبو حنيفة –رحمه الله– يقول: لو يعلم الملوك ما نحن فيه من لذّة العلم لحاربونا عليه بالسّيوف" [68]، وعن أبي هريرة ﷺ، أنَّه قال: يا رسول الله ﷺ، من أسعد النّاس بشفاعتك يوم القيَّامة؟ قال: "لقد ظننت يا أبا هريرة أنَّه لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، إنَّ أسعد النّاس بشفاعتي يوم القيَّامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه"[69]، ولا يعقل كلمة التَّوحيد عِلماً وعملاً بالخشية والمراقبة إلَّا كامل العلم وأبصر النّاس بالحقِّ واليقين بالله تعالى، ومصداق ذلك لما قال: رسول الله ﷺ: "يا عبد الله بن مسعود. قلت: لبيك يا رسول الله، ثلاث مراراً. قال: أتدري أي النَّاس أعلم؟. قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: أعلم النّاس أبصرهم بالحقِّ إذا اختلف النَّاس، وإنْ كان مقصِّراً في العمل"[70]. فيرتبط الرِّضا النَّفسي بالسَّعادة بعلاقة تلازم وثيقة، فجاء في محكم البيان قوله تعالى: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾، [الضُّحى: 5]، اللّهم قَنِّعْنَا بِمَا رزقتنا، وأنفعنا بما علَّمتنا، ومن العمل ما تَرْضى، وآتي نفوسنا تقواها، وزكِّها أنت خير من زَكَّها، أنت وليّها ومولاها، ونصلِّي ونسلم على من كان رحمة للعالمين، والحمد لله ربِّ العالمين.

الخاتمة:

نخلص من مجمل ما سبق تناوله إلى النتائج التالية:

1ـ مناط التَّكليف العقل ولا يتصور فعل أيّ شيء أو تركه أو حبّه أو بغضه دون العقل؛ لذلك أوجب الله تعالى على عباده معرفة كل ما أمر به ونهى عنه، لأنَّ الجاهل قد يقع في الخطأ ويعمل بالمنكر، ويرشد الغير إلى تعلم أو فعل الخطأ، فالعلم زاد العباد في كل مطلوب من خيري الدُّنيا والآخرة، سواء في العون على نيل المعاش، أو بلوغ السَّعادة القصوى في المعاد، فلا يكون صلاح ابن آدم إلاَّ بالعلم؛ فمن صلح عِلمه بلغ مَطلبه، ورسخ يقينه، وكمل إيمانه.

2ـ الإيثار عموماً إعطاء نصيبك غيرك تبرعًّا من نفسك، وأعلى مراتبه في الحياة العامّة تقديم رضا الخالق على كل مَخلوق وكلَّ شيء، والعمل من أجل الحياة الآخرة الباقية، وتفضيل ذلك على الحياة الآنيّة العاجلة، لأنَّ الَّذين يحبون ويؤثرون الحياة الدُّنيا على الآخرة أولئك هم الخاسرون، ومن الإيثار حبّ العلم تعلُّماً وتعليماً على الانقطاع بالاشتغال بأمور الدُّنيا ومكاسبها.

3ـ الإيثار أسمى الفضائل التي بُنيت عليها مكارم الأخلاق النَّبيلة، التي طبع عليها الأنبياء والمرسلين، فهو من شيم المتَّقين، التي هدي إلى التَّحلي بها من اقتفى بهديهم من سائر الخلق أجمعين إلى يوم الدِّين.

4ـ للإيثار أهميَّة بالغة وضرورة في الحياة الإنسانيِّة، فهو من صفات الكمال والإحسان بمجاهدة النَّفس والمراقبة؛ لا خوفاً ولا طمعاً، وحالة من حالات اليقين بالله تعالى، بأنَّه هو الميسِّر والمعطي والمانع، وإنَّ ما عند العبد ينفد، وما عند الله خير وأبقى، فمن ترك شيئاً لله متيقناً بذلك لم يجد فَقْدَه، لأنَّ ذلك ممَّا يدخر له عنده؛ سيجده لا محالة عند الحاجة والضيق.

5ـ ينمِّي الإيثار في النُّفوس وازع الرَّحمة والمودَّة بين الأستاذ والمتعلِّم والنَّاس جميعاً، فهو يحبِّب التَّضحية والإحسان والتَّرابط والمواساة للغير، ويغرس في النُّفوس قوة الثِّقة بالله، ويجعل المرء صابراً في البأساء والضرّاء، وكذا في أحوال المشقَّة والرَّخاء والضيق والابتلاء.

6ـ إيثار التعلُّم يقوِّي محبَّة الإخلاص في العمل لله تعالى، وتوكيد المحبَّة الإلهية للمتعلم، ويُعَلِّم الإنسان التوَّكل على الله

تعالى، في كل أموره الحياتيّة؛ ومن ثمّ يجود بالغالي والنَّفيس حتى وإنْ كان في أمس الحاجة إليه.

7ـ السفر للأمصار والغربة عن الدّيار والأوطان في سبيل العلم، من بين أنبل وأشرف السبل لتحصيله تعلماً وتعليماً بالمشافهة والمحاكاة؛ لأنَّ التَّلقين له فوائد نفيسة، وغايات جليلة فهو أقوى للنَّفوس استحكاماً وتثبتاً ويقيناً على أنْ يتمَ تحصيله بالقيد في القرطاس، والصَّيد في الرّأس، كما جاء في القول المأثور أنّ: العلم صيد والكتابة قيد، وما كُتب قَرّ، وما لم يكتب فَرَّ.

8ـ أنْ يُطلب العلم لشرفه وكمال منزلته بين سائر مطالب الحياة الدُنيا، به يُزكِّي المرء نفسه من دنس الأخلاق الذَّميمة، وينال به شرف أولي العزم من الرُّسل والأنبياء، وأعلى الهمم من درجة الأصفياء، ومراتب السُّعداء الَّذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

9ـ ينبغي ألَّا يضع المتعلِّم نصب عينيه مطلباً دنيوياً بالدَّرجة الأولى عند تحصيله للعلم؛ حتى لا تستعبده شهواته، وحاجاته النَّفسيَّة ومطالب جسده الآنيَّة، ويكون سجين نفسه، ويخور عزمه وهمَّته، ويضيع عمره بحصوله على المنخول من المطلوب، بل الواجب عليه أنْ يعي ويُدْرِك أنَّ الغاية من العِلم والتَّعليم والتَّعلم في أي علم من العلوم؛ بأنَّها غاية الغايات ليس بعدها مطلب، ولا أعلاها غاية أخرى، ومن ثمَّ فهي مبلغ الكمال والسَّعادة في الدَّارين، والسبيل لتحصيل الجِنان والنَّجاة من بلوغ الدَّرك الأسفل من النِّيران بمعرفة الله سبحانه وتعالى حقَّ المعرفة، بعلم اليقين دون ريب أو شك أو ظنون.

هوامش البحث ومراجعه:

القرآن الكريم برواية الإمام حفص عن عاصم.

(1) وهبة، مراد، المعجم الفلسفي،ط3، دار الثَّقافة الجديدة، القاهرة، ص308.

(2) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، الجامع الصَّحيح المختصر، تحقيق وتعليق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط3، 1407ه – 1987م، ، مجـ1، ص222، حديث رقم: 589.

(3) ابن منظور، محمد ابن مكرم، لسان العرب، دار الحديث القاهرة، د. ط،

1423ه - 2003م، مجـــ3، باب الخاء، ص197.

(4) ابن فارس، أحمد بن زكرياء القزويني الرَّازي، أبو الحسين: معجم مقاييس الُّلغة؛ طبعة دار الفكر، لبنان، بيروت، د ت، ص: 329.

(5) ابن منظور، مصدر سابق، مجـــ8، باب النّون، ص714.

(6) الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصّحاح تاج الُّلغة وصحاح العربيّة، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ - 1987م، مجـــ1، ص346.

(7) النِّسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، سنن النِّسائي الكبرى. تحقيق: عبد الغفَّار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 1411ه - 1991م، مجـــ6، ص52.

(8) البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، شعب الإيمان، تحقيق: محمد السَّعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 1410ه، مجـــ4، ص102. حديث رقم: 4419.

(9) البيهقي، شعب الإيمان، مصدر سابق، مجـــ2، ص262، حديث رقم: 1573.

(10)كتاب: أرشيف ملتقى أهل الحديث، مجـــ 12، ص ص153 - 154. تمَّ تحميل الكتاب: في 7 رمضان 1429 هـــ = 7 سبتمبر 2008م، ويضم هذا الجزء: المنتديات: الطَّريق إلى طلب العلم. الدُّروس الصَّوتيَّة. شؤون الكتب والمطبوعات.الرُّواية. طالبات العلم الشَّرعي، استراحة الملتقى.

رابط الموقع: http://www.ahlalhdeeth.com،
أضاف الكتاب للمكتبة الشَّاملة: عبد المجيد أبو مريقة، بتاريخ: 8-2009م.

(11) البخاري، صحيح البخاري ، مصدر سابق، حديث رقم: 970.

(12) القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله النّمري، جامع بيان العلم وفضله، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الرَّيان، دار ابن حزم، ط1، 1424ه - 2003م، مجـــ2، ص117. فقرة

رقم: 833، مصدر الكتاب: المكتبة الرقميَّة، الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي.

(13) ابن بهادر، بدر الدِّين أبي عبد الله محمد بن جمال الدِّين، النُّكت على مقدمة ابن الصلاح، (الزرَّكشي)، تحقيق: زين العابدين بن محمد بلا فريج، أضواء السَّلف، الرِّياض، ط1، 1419هـ - 1998م، مجـ1، ص144. المكتبة الشَّاملة. الكتاب موافق للمطبوع.

(14) القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك النّيسابوري، الرَّسالة القشيريَّة في علم التّصوف، تحقيق ودراسة: هاني الحاج، د ط، المكتبة التَّوفيقية، القاهرة، د ت، ص112.

(15) أبو الحسين أحمد بن محمد النوري الخراساني البغوي، توفى سنة 235ه، على وجه التَّقريب، الزَّاهد، شيخ الطَّائفة الصُّوفيّة بالعراق في عصره، وأحذقهم بلطائفهم، وله عبارات دقيقة بعيدة من انحرافات البعض منهم. ينظر:(الذَّهبي) شمس الدِّين أبو عبد الله محمد بن أحمد، سير أعلام النُّبلاء، تحقيق: مجموعة بإشراف: شعيب الأرناؤوط، ط3، مؤسسة الرِّسالة، 1405 هـ - 1985م، مجـ14، ص70، موافق للمطبوع، المكتبة الشَّاملة).

(16) ابن قدامة: أحمد بن عيسى بن عبد الله، المقدسي الصَّالحي الحنبلي(605 - 643 هـ = 1208 - 1245 م)، من حفاظ الحديث، دمشقي المولد والوفاة، له كتاب في: (الرَّد على محمد بن طاهر القيسراني)، في إباحته السَّماع، وله: (تعاليق في مجموعة من التراجم في: 55 ورقة، ضمن مجموع: 104 ورقة، في المخطوطة الظَّاهريّة.

(17) ابن قدامه، عبد الله بن أحمد المقدسي، إثبات صفة العلو، تحقيق: بدر عبد الله البدر، الكويت، الدَّار السلفيّة، ط1، 1406ه، مجـ1، ص79.

(18) ينظر: العسكري، أبو هلال الحسين بن عبد الله بن سهل، الفروق اللُّغوية. تحقيق: محمد باسل عيون السّود، دار

الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص142. فقرة: 296.

(19) البخاري، صحيح البخاري ، مصدر سابق، جـ1، ص1.

(20) التّرمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى، الجامع الصَّحيح، (سنن التّرمذي)، ب ت (مجـ9، ص429)، حديث رقم: 2705. المصدر: موقع وزارة الأوقاف المصريّة الموقع، http://www.islamic-council.com. تاريخ الزّيارة: 20/12/ 2018م. السَّاعة: 24:15.P.M.

(21) النّسائي، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، سنن النّسائي، المجتبى من السنن، تحقيق: عبد الفتّاح أبو غدة، حلب، مكتب المطبوعات الإسلاميّة، ط2، 1406 – 1986م. مجـ8، ص115.حديث رقم: 5017. ورواه البخاري، ومسلم.

(22) ابن منظور، لسان العرب، مصدر سابق، مجـ4، ص5.

(23) ابن الأثير، مجد الدّين أبو السَّعادات المبارك بن محمد الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرَّسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، ط1، مكتبة الحلواني، مطبعة الملَّاح، مكتبة دار البيان، 1390 ه، 1970م، مجـ1، ص319.

(24) العسكري، الفروق اللُّغوية، مصدر سابق، ص 143.

(25) الكاشاني، عبد الرزاق بن جمال الدّين السمرقندي، معجم اصطلاحات الصُّوفيّة، تحقيق وتقديم وتعليق: عبد العال شاهين، القاهرة، ط1، 1423ه – 1992م، دار المنار، ص256.

(26) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، الباب الأول، مجـ1، ص:6253.

(27) ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مجـ1، ص26، وينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، مجـ 9، ص263.

(28) عبد القادر الرَّازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصَّحاح، تحقيق: محمود

خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1415 – 1995، مجـ1،ص2.

(29) موسوعة، نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، ﷺ ، أعدها: عدد من المختصين، إشراف: صالح بن عبد الله بن حميد، دار الوسيلة للنَّشر والتَّوزيع، جدة، المملكة العربيَّة السعوديّة، ط4، (د ت)، مجـ9، ص3771.

(30) ابن قيم الجوزيَّة، مُحمّد بن أبي بكر بن أيّوب بن سعد، تهذيب مدارج السَّالكين، تهذيب: عبد المنعم صالح العربي، بيروت، مؤسسة الرِّسالة للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، ط5، 1416هـ - 1996م، مجـ2، ص641 – 642.

(31) القرطبي، شمس الدِّين، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، مصدر سابق، مجـ1، ص:6253.

(32) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن شدَّاد بن عمرو، سنن أبى داود، طبعة دار الفكر، ب ت، مجـ2، ص612. حديث رقم: 4609، قال: الألباني: صحيح، موقع وزارة الأوقاف المصريّة، جمعية المكنز الإسلامي.

الموقع:-http://www.islamic-council.com. تاريخ الزِّيارة: 12/21/ 2018م. السَّاعة: 23:45.P.M.

(33) البيهقي، شعب الإيمان، مصدر سابق، مجـ2، ص235.

(34) ينظر: الحسن الرَّازي، أبو عبد الله محمد بن عمر، تفسير الفخر الرَّازي، المشتهر بالتَّفسير الكبير ومفاتيح الغيب، [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع، وهو ضمن خدمة مقارنة التّفاسير]، الباب تفسير سورة الأحزاب، د ت، مجـ3، ص211. وينظر نفس المصدر: مجـ9، ص 21.

(35) ابن قدامه، إثبات صفة العلو، مرجع سابق، مجـ1، ص79.

(36) الألوسي، شهاب الدِّين محمود ابن عبد الله، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني، الباب الأول، مرجع سابق، مجـ9، ص313.

(37) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، معرفة الصَّحابة، تحقيق: عادل بن يوسف العزّازي، الرِّياض، دار الوطن للنَّشر، ط1، 1419 هـ - 1998م، مجـ5، ص2598. فقرة رقم: 6262.

(38) البخاري، الجامع الصَّحيح المختصر، مصدر سابق، مجـ2، ص829، حديث رقم: 2224.

(39) شلتوت، محمود، الإسلام عقيدة وشريعة. دار الشّرق، ط10، 2010، ص ص138 - 139.

(40) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطُّوسي، إحياء علوم الدِّين، وبذيله كتاب: المغني عن الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار، لزين الدِّين أبو الفضل عبد الرحيم العراقي، تحقيق: أبو حفص سيد إبراهيم بن صادق، القاهرة، دار الحديث، د ط، 1998م، مجـ3، ص352 - 363.

(41) التّرمذي، سنن التّرمذي، مصدر سابق، مجـ3، ص660، حديث رقم: 1376.

(42) البخاري، الجامع الصّحيح المختصر، مصدر سابق، مجـ1، ص47، حديث رقم: 15. وأخرجه: مسلم: في صلاة المسافرين باب من يقوم بالقرآن ويعلّمه. حديث رقم: 816.

(43) البخاري، الجامع الصّحيح المختصر، مصدر سابق، مجـ1، ص42، حديث رقم: 79.

(44) مسلم، الجامع الصَّحيح المسمى صحيح مسلم، دار إحياء التُّراث العربي، ب. ت، مجـ1، ص74. حديث رقم: 93.

(45) ابن حزم، علي بن أحمد الأندلسي أبو محمد، مداواة النُّفوس وتهذيب الأخلاق والزُّهد في الرَّذائل، تحقيق: إيقا رياض، مراجعة وتقديم: عبد الحق التُّركماني، دار ابن حزم للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1421ه - 200م، ص89.

(46) القرطبي، أبي عمر يوسف بن عبد الله النمري، جامع بيان العلم وفضله، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي، مؤسسة الرَّيان – دار ابن حزم، ط1، 1424ه – 2003م – مجـــ1، ص66، مصدر الكتاب: المكتبة الرقميَّة، [الكتاب موافق للمطبوع وهو مذيل بالحواشي].

(47) البخاري، الجامع الصَّحيح المختصر، مصدر سابق، مجــ1، ص465، حديث رقم: 1318.

(48) ينظر: البيهقي، شعب الإيمان، مصدر سابق، مجــ7، ص398، حديث رقم: 10739.

(49) البخاري، الجامع الصَّحيح المختصر، مصدر سابق، مجــ1، ص24، حديث رقم: 67.

(50) التِّلمساني، أحمد بن محمد المقري، نفح الطيِّب من غصن الأندلس الرَّطيب، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت، ب ط، 1968، مجــ4، ص329. الكتاب موافق للمطبوع، أضافه للمكتبة الشَّاملة: عبد المجيد أبو مريقة، 8-2009م، الأبيات نقلاً عن: أبو العبَّاس ابن العريف الأندلسي. وفي هذه المعاني لــ: عبد الرحمن بن خلدون مبحث نفيس جاء ذلك في: مقدَّمة كتابه العبر.

(51) القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، مرجع سابق، مجـــ1، ص315.

(52) المرجع السابق، (مجــ1، ص314).

(53) الأبرش سلمة بن الفضل الرَّازي، أبو عبد الله، توفى في نهاية القرن الثَّاني الهجري قرابة:(000 - 191 هــ = 000 - 807 م)، الإمام، قاضي الرَّي، حدث عن: ابن إسحاق، وأيمن بن نابل، وعمرو بن أبي قيس، وسفيان الثَّوري، وطائفة عدَّة. ينظر: الذَّهبي، شمس الدِّين أبو عبد الله محمد، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرِّسالة، ط3، 1405 هــ - 1985م، مجــ9، ص 49- 50.

(54) ابن حبان، محمد البستي أبو حاتم، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، دار

الكتب العلميَّة، بيروت، تحقيق: محمد محي الدِّين عبد الحميد، 1397ه – 1977م، مجـ1، ص34. المكتبة الشَّاملة، ملاحظة: الكتاب موافق للمطبوع.

(55) البيهقي، شعب الإيمان، مصدر سابق، مجـ2، ص254، حديث رقم: 1544.

(56) البيهقي، شعب الإيمان، مصدر سابق، مجـ2، ص324 – 325، حديث رقم: 1786.

(57) القرطبي، جامع بيان العلم وفضله، باب تفضيل العلم على العبادة، مرجع سابق، مجـ1، ص50.

(58) التِّرمذي، سنن التِّرمذي، مصدر سابق، مجـ5، ص50، حديث رقم: 2685.

(59) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، مصدر سابق، مجـ1، ص79، حديث رقم: 219.

(60) أبو عمر، جامع بيان العلم وفضله، مرجع سابق، مجـ1، ص57.

(61) البخاري، الجامع الصَّحيح المختصر، مصدر سابق، مجـ4، ص1920)، حديث رقم: 4743. وأخرجه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب فضائل القرآن وما يتعلق به حديث رقم: 789.

(62) ينظر: عن: ابن الصَّلاح، في كتب التَّراجم منه: الفهرست: ص303، الأنساب: مجـ7، ص244، معجم البلدان: مجـ3، ص309، اللُّباب: مجـ2، ص174، وفيات الأعيان: مجـ4، ص ص200 – 201، طبقات السَّبكي: مجـ3، ص ص200 – 222، النُّجوم الزَّاهرة: مجـ4، ص111. وعن ترجمة، أبو حامد الغزالي؛ ينظر في: مرآة الجنان 3 / 69 – 70، شذرات الذَّهب، مجـ3، ص283، الذَّريعة، مجـ4، ص429، روضات الجنَّات: ص ص 579 – 580، إيضاح المكنون،مجـ1، ص ص70، 71، 102، 205، 320، أعيان الشِّيعة، ص ص46، 160.

(63) البخاري، الجامع الصَّحيح المختصر، مصدر سابق، مجـ1، ص37، حديث رقم: 67.

(64) المصدر السابق، مجـــ2، ص278، رقم 1620.

(65) قنصوة، صلاح، فلسفة العلم، دار قباء للطِّباعة والنّشر والتَّوزيع، القاهرة، ب ط، 1988م، ص73.

(66) وهبة، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص220.

(67) عبد الفتاح، سيد، السّعادة كما يراها المفكرون، لبنان: مؤسسة عز الدِّين للطّباعة والنّشر، د ت، ص5 – 19.

68) القنّوجي، بو الطَّيب السّيد صدّيق حسن، الحطّة في ذكر الصّحاح السّتة، دار الكتب التَّعليميّة، بيروت، ط1، 1405هـ – 1985م، مجـــ1، ص8.

(69) البخاري، الجامع الصَّحيح المختصر، مصدر سابق، مجـــ1، ص49.

(70) البيهقي، شعب الإيمان، مصدر سابق، مجـــ7، ص69.